ولد سنة خمسٍ وخمسين وأربعة مئة، وقرأ القرآن والأدب والفرائض والأصول، وتفقَّه وَوَعَظ، وأنشأ الخُطَب، وكان له حَلْقةٌ بجامعِ المنصور للنَّظر والوعظ، وتوفي يوم الأحد سابع عشرة المحرَّم، وصُلِّي عليه بجامع القَصر والمنصور، ودُفِنَ بباب حَرْب، سمع الصَّريفيني، وكان ثِقَةً.

محمد بن أحمد بن محمد بن صاعد[(١)]

أبو سعيد النَّيْسابوري.

ولد سنة أربع[(٢)] وأربعين وأربع مئة، وقَدِمَ بغداد، وكان رئيس نَيْسابور، وقاضيها، وله دُنيا واسعة، ومنزلة عالية عند الخاصّ والعام، وتوفي بنيسابور يوم السبت غُرَّة ذي الحِجَّة[(٣)]، وكان نبيلاً، ثِقَةً.

محمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم[(٤)]

أبو بكر المَزْرَفي.

ولد سنة تسع وثلاثين[(٥)] وأربع مئة، وسمع الكثير، وانفرد بعلم الفرائض. وتوفي في سجوده في المحرَّم، ودُفِنَ بباب حَرْب، وكان ثَبْتاً صالحاً، متعبِّداً صدوقاً، ثِقَةً.

السَّنة الثَّامنة والعشرون وخمس مئة

فيها وصلتْ هدَايا زَنْكي، واتَّفَقَ مع الخليفة.

---

(١) له ترجمة في «التحبير»: ٢/ ٧٤ ـ ٧٥، و«المنتظم»: ١٠/ ٣٣، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٩١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) في (ع): سبع، والمثبت من (ح)، وهو الموافق لما في «التحبير»، و«المنتظم» وغيرهما من المصادر.

(٣) في «التحبير»: ثامن عشر ذي الحجة، وفي «المنتظم»: ثاني عشر ذي الحجة.

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٣٣ ـ ٣٤، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٦٦ ـ ٦٨، و«معجم البلدان»: ٥/ ١٢١، و«معرفة القراء الكبار»: ٢/ ٩٣٧ ـ ٩٣٨، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٦٣١ ـ ٦٣٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته. جاء اسمه في «مشيخة ابن الجوزي» و«معجم البلدان»: محمد بن الحسن.

(٥) في (ع) و(ح): تسع وثمانين، ومثله في «المنتظم»، وهو خطأ، والمثبت من «مشيخة ابن الجوزي»، وبقية المصادر.

وعُزِلَ أنوشروان من غير أن يُؤْذى، بل نزل في الليل [بنفسه][١] في سفينةٍ إلى داره بالحريم الطَّاهري، وأُعيد أبو القاسم بن طِرَاد إلى الوِزارة، وخُلِعَ عليه، وزِيْدَ في فُرُشه الطَّوق، وأُعطي الكوسات والأعلام.

وفيها قَدِمَ رسولٌ من سنجر يَطْلُبُ الخِلَع، فبعث له الخليفة خِلَعاً بمئةِ ألفٍ وعشرين ألف دينار مع ابن الأنباري.

وبَعَثَ الخليفةُ إلى تَكْريت، فَحَصَرها وفيها بِهرْوز، فصانَعَ بمالٍ، فَقُبِلَ منه.

وفيها قدم البقش السِّلاحي؛ من كبار أُمراء الأتراك إلى بغداد، وعَرَضَ الخليفةُ العساكر يوم عيد الفطر، وركب الوزير شرف الدِّين وقاضي القُضَاة، والنَّقيبان وأربابُ الدَّولة، فكانوا خمسة عشرة ألف فارس، ولم يُرَ عيدٌ اجتمع فيه أربابُ الدولة إلا هذا.

وفيها عاد طُغْريل إلى هَمَذَان، ومالتِ العساكر إليه، وانحلَّ أمرُ أخيه مسعود، وبَعَثَ الخليفة إلى مسعود يطلبه ليرفع منه، فَدَخَلَ بغداد متخفياً في ثلاثين فارساً، فبعث إليه الخليفة بمالٍ وتُحَف، ووَقَعَ الخليفةُ بُملَطَّفات من بعض الأُمراء إلى طُغْريل فطلبهم، فهربوا إلى مسعود، واستجاروا به، فأرسل الخليفةُ يطلبهم منه، فامتنع، وقال: قد استجاروا بي.فقال الخليفة: إنما أفعل هذا لأجلك، وأُنَصِّبُكَ مرَّة بعد أخرى وأنت تفعل هذا؟! ووقع الاختلاف، واختلط العسكر، ومدُّوا أيديهم إلى المال والحريم. فأرسل الخليفة إلى مسعود يقول: انصرف إلى بعض الجهات بالعسكر الذين صاروا إليك. فنزل بدار الغَرَبة رابع عشرين ذي الحِجَّة، وتواترت الأخبار بمجيء طُغْريل إلى بغداد، فلمَّا كان يوم السبت سَلْخ ذي الحجة بعث الخليفة بالخِلَع، والتَّاج والطَّوق، وتخوت الثِّياب، وثلاثين ألف دينار إلى مسعود، فأخذ الجميعَ، ولم يرحل.

وفيها حاصر شمسُ الملوك صاحبُ دمشق شقيف تيرون المطلّ على بيروت وصَيْدا، وكان فيه الضَّحَّاك بن جَنْدل، فانتزعه منه، وعَوَّضه ضياعاً.

وفيها خَرَجَ شمسُ الملوك يتصيَّدُ، فانفردَ عن أصحابه، فَوَثَبَ عليه أحدُ مماليك جَدِّه طُغْتِكِين، ويعرف بإيلبا، فضربه بالسَّيْف ضربةً هائلة، أراد قطع رأسه، فانقلبَ

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

السيفُ من يده، فرمى بنفسه إلى الأرض، فضربه أُخرى، فوقعت في عُنُق الفرس، فأَتْلَفَتْه وحال بينهما الفرس، [وأدركته العساكر][١] وكانوا بصَيْدنايا وجبة عسال[٢]، وانهزم إيلبا، وعادَ شمسُ الملوك إلى دمشق سالماً، وبثَّ الغِلْمان في طلبه، فقاتلهم، ثم ظفروا به، فلما جاؤوا به إليه قال [له][٣]: ما الذي حَمَلك على ما صنعتَ؟ قال: لم أفعله إلا تقرُّباً إلى الله تعالى لأريح المسلمين منك، لأنَّك قد ظلمت المساكين، وضعفاء النَّاس [من أهل الضّياع والمتعيشين][٣]، وإن معي فلاناً وفلاناً، وكلُّنا اتفقنا عليك. فجمع المتهومين، وقتَلَ الجميعَ صبراً، وأولُ ما قَتَلَ إيلبا [ولامه النَّاسُ حيث قَتَلَ الغِلْمان بقولِ هذا الجاني من غير بينة ظهرت][٣]، ولم يكفه قَتْلُ المتهومين ظُلْماً حتى اتَّهم أخاه سونج، فتركه في بيتٍ، وسدَّ عليه الباب، فمات جوعاً، ثم بالغ في سَفْكِ الدِّماء والظلم والأفعال القَبيحة، ولم يقف عند حَدٍّ، [وسنذكر قتله في السنة الآتية][٣].

وفيها وقع الخُلْفُ بين ولدي الحافظ أبي علي الحسن ولي العهد وبين أخيه أبي تراب حَيْدَرة بمصر، وانقسم الجُنْدُ فريقين؛ أحدهما إلى مذهب السُّنَّة، والثَّاني إلى مذهب الشِّيعة، ووقع القتال، فكان النَّصرُ لولي العهد، وأباد من تبع أخاه من السُّودان وغيرهم بالقَتْلِ.

وفيها نَقَضَ الفرنج الهُدْنة، ونزلوا حوران، وخرج شمسُ الملوك إليهم في حشده [وجمعه][٣]، وخيم بإزائهم، [وكانوا في جَمْع عظيم][٣] فلما رأى [شمس الملوك][٣] أنه لا طاقة له بهم غافلهم في الليل ورحل نحو طبرية وعكا وصور والسَّاحل، فقتل وسبى، وغَنِم غنائم كثيرة، وعاد إلى دمشق على طريق الشَّعْراء، ورحل الفرنج إلى بلادهم، فساءهم ما رأوا من الخراب والنَّهب، فذلوا وتفرَّقوا، وذلك في ذي الحِجَّة.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) صيدنايا: بلدة في القلمون تبعد عن دمشق (٣٠كم)، وجبة عسال بلدة في القلمون كذلك، وتسمى الآن عسال الورد، وتبعد عن دمشق (٦١كم).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فصل: وفيها توفي

أحمد بن إبراهيم، أبو الوفاء، الفيروزابادي(١)

وفيروزاباد: حَدٌّ بلاد فارس.

سمع الحديث، وخَدَمَ المشايخ الصُّوفية، وكان حافظاً لِسِيَرهم وأَشْعارهم، كرِيمَ الأخلاق، لطيفاً، جَوَاداً، وسكَنَ رِباط الزُّوْزَني مقابل جامع المنصور، وكان يسمعُ الغِناء [على عادتهم، وكان](٢) يقول لعبد الوهَّاب الأنماطي: إني لأدعو لك وقت السَّماع. فكان الأنماطي يتعجَّبُ، ويقول: أليس هذا يعتقدُ أنَّ ذلك وقت إجابة! وتوفي ليلة الاثنين حادي عشرة صَفَر، وحَضَر جِنازته خَلْقٌ كثير، منهم أربابُ الدولة، [وقاضي القضاة والنَّقيبان وخدم الخاصة](٢)، ودُفِنَ على باب الرِّباط، وعُمِلَ له يوم السبت ثامن عشرة صفر دعوةٌ عظيمة، أُنفق فيها مالٌ كثير، بين جامع المنصور والرِّباط على عادة الصُّوفية إذا مات لهم ميت، لم يتخلَّف عنها أحد. [سمع من أبي طاهر الباقلاوي، وأبي الحسن الهَكَّاري، وغيرهما](٢).

حسن بن إبراهيم بن علي(٣)

ابن بَرْهون، أبو علي، الفارِقي.

ولد سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة، وتفقَّه على أبي إسحاق الشِّيرازي وغيره، وولي القضاء بواسط، وأعمالها، فتوفي بها في محرَّم عن ستٍّ وتسعين سنة، وهو سليمُ الحواس والعَقْل، وما زال يكرِّرُ الفِقْه إلى أن مات، وكان زاهداً عابداً، وَرِعاً مهيباً، لا يحابي أحداً في الحكومات.

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٣٦ ـ ٣٧، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٧٤، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٥٣، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٨٢ ـ ٨٣، وجاء اسمه في «العبر» و«الشذرات»: أحمد بن علي الشيرازي.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) (ش).

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٣٧، و«الكامل»: ١١/ ١٧، و«وفيات الأعيان»: ٢/ ٧٧، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٦٠٨ ـ ٦٠٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

عبد الله بن محمد بن أبي بكر الشَّاشي[(١)]

ولد سنة إحدى وثمانين وأربع مئة، وتفقَّه، وأفتى وناظر [في زمان أبيه][(٢)]، وكان ظريفَ الشَّمائل، حَسَنَ العبارة، [وكان][(٢)] يعظ وينشئ الكلامَ المطابق والمجانس. قال يوماً في مجلس [من مجالس][(٢)] وعظه: أين القدود العالية والخدود الوَرْدية، امتلأت بها العالية والوَرْدية. اسم مقبرتين بنهر مُعَلّى.

وجلس يوماً آخر النهار في التَّاجية، وكان في السَّماء غيم، فارتجل في الطَّريق أبياتاً قالها في آخر المجلس، وهي: [من الرجز]

قَضِيَّةٌ أَعْجِبْ بها قَضِيَّهْ جلوسُنا اللَّيلةَ في التَّاجِيَّهْ
والجوُّ في حُلَّتِهِ الفِضِّيَّهْ صِقالُها قَعْقَعَةٌ رَعدِيَّهْ
أعلامُها شَعْشَعَةٌ بَرْقِيَّهْ تَنْشُرُ مِنْ أَرْدانها العِطْرِيَّهْ
ذائِبَ درٍّ يَنْشُرُ البَرِيَّهْ والشَّمْسُ تبدو تارةً جَلِيَّهْ
ثُمّ تراها مرةً خَفِيَّهْ كأنَّها جاريةٌ حَيِيَّهْ
حتى إذا كانت[(٣)] لنا العَشِيَّهْ نَضَّتْ لباسَ الغَيْم بالكُلِّيَّهْ
وأَسْفَرَتْ في الجهةِ الغربيَّهْ صفراءَ في مِلْحَفَةٍ وَرْسِيَّهْ
كرامةٌ أعرفها شاشيَّهْ

[قلت: وأعجبُ من ذا أن بعض أشياخنا حكى لي][(٤)] أنَّه قَدِمَ رجلٌ علوي، فجلس في التَّاجية آخر النهار، فذكر حديث رُدَّتِ الشَّمْسُ لعلي عليه السَّلام[(٥)]، ثُمَّ شَرَعَ في

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٣٧ ـ ٣٨، و«الكامل»: ١١/ ١٨، و«الوافي بالوفيات»: ١٧/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ١٢٧، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ٢/ ٨٧، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) (ش).

(٣) وكذلك هي في «المنتظم»: ١٠/ ٣٨، وفي «الوافي بالوافيات» و«طبقات السبكي»: حانت، وهي الأشبه.

(٤) في (ع) و(ح): وأعجب من هذا أنه قدم.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) حديث ردِّ الشمس لعلي، أخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٠٦٧) (١٠٦٨)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (٣٨٢) و(٣٩٠) والعقيلي في «الضعفاء»: ٣/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨، وابن الجوزي في «الموضوعات»: ١/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧، وهو حديث منكر، وقد حكم عليه أئمة الحديث بالوضع، وأشبع القول فيه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: ٦/ ٧٧ ـ ٨٧، فراجِعْه، فإنه نفيسٌ.

مناقب أهل البيت، فارتفعت سحابةٌ، فغطَّتِ الشَّمْسَ، وأظلمتِ الدُّنيا حتى خُيِّلَ للنَّاس أَنَّ الشمس قد غَرَبَتْ، فأومى العَلَوي إلى جهة المغرب، وارتجل [وقال](١): [من الكامل]

لا تَغْرُبي يا شمسُ حتى ينتهي ... مَدْحي لآلِ المُصطفى ولِنَجْلِهِ
واثني عِنانَك إنْ أردتِ ثناءَهُمْ ... أنسيتِ إذْ كان الوقوفُ لأَجْلِهِ
إنْ كان للمولى وقوفُكِ فليكُنْ ... هذا الوقوفُ لخَيلِهِ ولرَجْلِهِ

فطلعت الشمس، فلم يبقَ إلا من رمى ثيابه على العلوي.

وتوفي ابنُ الشَّاشي في المحرَّم، ودُفِنَ عند قبر أبيه في تُرْبة أبي إسحاق الشِّيرازي [سمع أباه، وأبا عبد الله بن طلحة النِّعالي، وغيرهما](١).

ومن شعره: [من الدوبيت]

الدَّمْعُ دماً يسيلُ مِنْ أجفاني ... إنْ عشتُ مع الفِراقِ ما أَجْفَاني
سِجْني شَجَني وحاكمي سَجَّاني ... والعاذِل بالمَلامِ قد شَجَاني
والذِّكْرُ لهم يزيدُ في أَشْجاني ... والنَّوْحُ معَ الحَمَامِ قد أشْجاني
ضاقت ببعادِ منيتي أعطاني ... والبينُ يدَ الهمومِ قد أعطاني

وفي ابن الشَّاشي يقول مَعْدَان بن كثير البالِسِي: [من الكامل]

يا كعبة الفَضْلِ افْتِنا لِمْ لَمْ يجبْ ... فَرْضاً على قُصَّادِكَ الإحرامُ
ولِمَ تُضَمَّخْ زائريك بطِيْبِ ما ... تُلْقِيه وَهْوَ على الحجيجِ حَرَامُ

عبد الواحد بن شُنَيْف أبو الفرج الحَنْبلي(٢) [الدَّارَقَزِّي](١)

[سمع الحديث وتفقه وبرع وأفتى وناظر، وكان أميناً للقاضي](١).

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٣٩، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٢٣٨ ـ ٢٣٩، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: ١/ ١٨٥ ـ ١٨٦، و«المقصد الأرشد»: ٢/ ١٣٩، و«المنهج الأحمد»: ٣/ ١١٥، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٨٥ ـ ٨٦.

توفي بعضُ أصحابه، وأوصى إليه بولده، فكان ينفق عليه مما خلَّفه أبوه و[وكان][(١)] الصَّبيُّ [فَطِناً][(١)] يكتب ما ينفق عليه، فمَرِضَ الشيخ فقال للصبي: أيش بقي لك عندي؟ فقال: والله مالي عندك شيء، لأن ما ترك أبي أنفقته عليَّ، [فقال: بلى، وأخرج][(١)] سبعين ديناراً، وقال: [خذ][(١)] هذه [فهي][(١)] لك، فإني كنتُ أتَّجر لك بشيءٍ من مالك، وهذه رِبْحُهُ.

وتوفي رجل بدار القَزِّ، وأوصى إليه أن يقسم ميراثه، فأعطى زوجته حَقَّها، وأعطى الباقي ذوي أرحامه، وكان ابن الرُّطبي على التِّركات، وعبد الواحد نائبه، فكَتَبَ ابنُ الرُّطَبي إلى المسترشد يُخبره بما صنع [وقال: إنه ورث ذوي الأرحام][(٢)] فكتَبَ الخليفة: نِعْمَ ما فعل إذْ عَمِلَ بمذهبه، والذَّنْبُ لمن استعملَ حنبلياً في هذا، وقد عَلِمَ مذهبه.

[وقيل: إنه لم يكن عبد الواحد نائب ابن الرُّطَبي، وإنما توفي رجل حَشْري[(٢)] بدار القزّ، وكان ابن الرُّطبي يتولى التِّركات، فكَتَبَ إليه ابنُ الرُّطبي بأن يتولى تَرِكَتَهُ، فَفَعَلَ فيها ما فعل][(١)].

وتوفي عبدُ الواحد في شعبان، وخَلَّفَ مالاً كثيراً.

عليُّ بنُ محمد، أبو الحسن العَنْبَري[(٣)]

ويقال له ابنُ دَوَّاس القَنَا، شاعِرٌ فصيح، أصله من البَصرة، وسكن وَاسِطاً، وتوفي بها.

ومن شعره: [من البسيط]

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) الحشري: هو الميت الذي خلف مالاً، وليس له وارث خاص بقرابة أو نكاح أو ولاء، أو له وارث ذو فرض، ولكنه لا يستغرق جميع المال الذي خلفه ولا عاصب له، فهذا كان ماله يعود لبيت المال، وكان له ديوان خاص به يسمى «المواريث الحشرية»، وقد عمل أبو الفرج الحنبلي بمذهبه فورث ذوي الأرحام، ومن ثم استنكر عليه القاضي ابن الرطبي الشافعي فعله.
وقد تحرفت «حشري» في «المنتظم» و«المنهج الأحمد» إلى حشوي، واعتمدها «محقق؟» المنهج قائلاً في حشري: وهو من آفات الطبع، فتأمل! انظر «صبح الأعشى»: ٣/ ٤٦٠، و«المصباح المنير» (حشر).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج٤/ م١/ ٣٦١ ـ ٣٦٣ و«الوافي بالوفيات»: ٢٢/ ٨٨ ـ ٨٩، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٥٤.

هل أنتِ مُنْجِزَةٌ بالوَصلِ ميعادِي … أم أنتِ مُشْمِتَةٌ بالهَجْرِ حُسَّادِي
سألتُ طَيْفَكِ إلماماً فَضَنَّ به … ولو أَلَمَّ لأَرْوَى غُلَّةَ الصَّادي
يا ظَبْيَةَ الحَيِّ ما جِيْدي بمنعطِفٍ … إلى سِواكِ ولا حَبْلي بمُنْقادِ
لولا هواكِ لما اسْتَلْمَعْتُ بارقةً … ولا سألتُ حَمَامَ الدَّوْحِ إسعادي
ولا وقفتُ على الوادي أسائِلُهُ … بالدَّمعِ حتى رثى لي ساكنُ الوادي
رحلتُمُ وفؤادي في رحالِكُمُ … موزَّعٌ بين إتْهامٍ وإنجاد
إن تأسِرُوا فذوو عِزٍّ ومَقْدِرَةٍ … أو تُطْلِقُوا فذوو مَنٍّ وإرْفادِ[1]
إذا سَمَحْتُمْ بتقريبي ولم تَصِلُوا … حَبْلي فسِيَّانَ تَقْريبي وإبعادي[2]

محمد بن عبد الله بن تُومَرْت المَصمُودي[3]

صاحب المَغْرب.

كان قد رحل في شبيبته إلى الإسكندرية ومِصر والعراق، وحجَّ وحَفِظَ القرآن، وسَمِعَ الحديث، وتَنَسَّك، وأَمَرَ بالمعروف، ونهى عن المنكر، وهَجَرَ لذَّات الدُّنيا، وعاد إلى المَغْرب، فانتهى إلى بِجَاية، فكَسَرَ بها آلاتِ اللَّهو، وأَهْرَاقَ الخمرَ، وخَرَجَ منها إلى قريةٍ يُقال لها: مَلَّالة، فرأى عبدَ المؤمن، فتفرَّس فيه، وسأله عن [قبيلته و][4] نسبه، فأخبره أنَّه من قَيْس من شعب الشَّريد بن مُسْلم[5]، فقال محمد بن تُومَرْت لأصحابه: هذا الذي بَشَّر به النَّبيُّ ﷺ، فقال: «إن الله ينصُرُ هذا الدِّينَ في آخر الزَّمان

(١) في (ع) و(ح):
إن تأسرون فذو عز ومقدرة … أو تطلقون فذو مَنٍّ وإرفاد
والمثبت من «الخريدة».

(٢) القصيدة في «الخريدة» قسم شعراء العراق: ج٤/ م١/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

(٣) أخباره في «الكامل» لابن الأثير: ١٠/ ٥٦٩ ـ ٥٨٢، و«المعجب» ٢٦٢ ـ ٢٨٧، و«وفيات الأعيان»: ٥/ ٤٥ ـ ٥٥، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٣٩ ـ ٥٥٢.
ووفاته على الصحيح سنة (٥٢٤هـ) كما في مصادر ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) كذا في النسخ الخطية، ولم أقف عليه.

برجلٍ من قيس سُلَيْم»[١]، واستبشر به ابنُ تُومَرْت، وعَلِمَ أَنَّه وارِثُه، وحامِلُ أمانته، ومقيمُ دعوته، وتوفي ابن تُومرت بمكانٍ يقال له تينمَل، وقبره ظاهر يُزار[٢].

وقال أبو يعلى بنُ القلانسي: حدَّثني مَنْ أثقُ به مِنْ أهل المغرب، أَنَّ الفقيه ابنَ تُومَرْت من جبل السُّوس، وأَصلُه مَصمُودي، وكان غايةً في الفِقْه، والدِّين، مشهوراً بالوَرَع والزُّهْد، وكان قد سافر إلى العراق، واجتمع بالأئمة والفقهاء، وأَخَذَ عنهم، وناظر، وسمع الحديث، وعاد إلى مِصر، وقرأ على علمائها، ثم عاد إلى المغرب، ودعا إلى مذهب الفكر، وابتدأ ظهوره في سنة اثنتي عشرة وخمس مئة في مدينة تعرف بدرن في جبلٍ أوله في البحر المحيط وآخره في بحر الإسكندرية، وغَلَبَ على جبل السُّوس، واجتمع إليه خَلْقٌ كثير من قبائل المصامدة بجبل درن[٣].

وقيل: إنه وصل إلى المهدية، وأمر أهلها أن يبنوا قصراً على نِيَّة الفكرة، وأن يعبدوا الله تعالى فيه بالفكرة، فاجتمعَ مشايخُ أهلِ المهدية وفقهاؤها، وعَزَموا على بنائه، فقام رجلٌ من كبار الفقهاء، فقال: نقيم ما أقمنا في المهدية، ويجيءُ إليكم رجلٌ بربري مَصمُودي يأمركم بالعبادة بالفكرة، فتجيبون إلى ما أمركم به؟! وأنكر ذلك إنكاراً شديداً حتى عادوا عنه، وأبطلوه، فخرج المَصمُودي من المهدِيَّةِ، ولم يتمَّ له فيها أمر، فجاء إلى بِجاية؛ وهي في يد بني حَمَّاد من صِنْهاجة، فأنكر عليهم شُرْبَ الخمر، وكَسَرَ الأواني، فامتنعوا من شُرْبها، وساعده على ذلك آلُ حمدون[٤] صاحب

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (م) و(ش) عقب هذا: وسنذكر سيرة عبد المؤمن في سنة ثمانٍ وخمسين وخمس مئة. قلت: وهذا هو المشهور من سيرة ابن تومرت. في سنة ثمان وتسعين وأربع مئة (كذا)، وكان شاعراً فصيحاً، ومن شعره من قبل أن يقدم بالمغرب. ثم ذكر البيتين الآتيين ص٢٦٣.

(٣) انظر «الروض المعطار»: ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٤) وهي كذلك في أصل «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٥٥، غَيَّرها «محققه» إلى ابن حماد ظناً منه أن المراد بالنص هو حاكمها يحيى بن عبد العزيز بن حماد، وهو آخر ملوكها، والحق أن آل حمدون كانوا المتحكمين في بجاية، وذلك لانشغال أميرها يحيى بالصيد واللهو، وقد بين منزلة آل حمدون ابن الأثير في «الكامل»: ١١/ ١٥٨ - ١٥٩.

هذا البلد، وحَمَلَ إليه مالاً، فلم يقبله، وأظهر الزُّهْد والورع، ثم خَرَجَ من بِجاية، وقصد أغمات، وأظهر الزُّهْد، ودرَّس الفِقْه، واجتمع إليه أربعُ مئة رجلٍ من المصامدة، ثم ارتفع أمره، وبلغ خبره إلى [ابن][1] يوسف بن تاشفين، وأنه يبيح دمه ودمَ أصحابه، فاستدعاه، وأحضر الفقهاءَ فناظروه، وأشاروا بحبسه، فلم يقبل يوسف، وأطلقه، وحاربه بعد ذلك، وكان يدعى بالخارجي[2].

ذكر عقيدة ابنِ تُومَرْت:

ذكرَ في أوَّلها حديثَ ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال" «بُني الإسلام على خمس»[3] الحديث. وحديث معاذ لمَّا بعثه النبيُّ ﷺ إلى اليمن، وأمره بإقامة الصَّلوات وإيتاء الزكاة، وقال: «اتَّقِ دعوةَ المَظْلوم»[4] الحديث.

ثم قال: فثبتَ بهذا أَنَّ العبادةَ لا تَصحُّ إلا بالإيمان، والإخلاص، وذلك بالعِلْم والعمل، بالطَّلب والطلب، بالإرادة والإرادة، بالرَّغبة والرَّهْبة، والرَّغْبة والرَّهْبة، وبالوَعد والوعيد، بالشَّرْع والشَّرع، بصدق الرَّسول وصِدْق الرَّسول، بإظهار المعجزة بإذن الله تعالى.

ثم قال: وبضرورة العقل يُعرف وجودُ الباري، والضَّرورةُ مالا يتطرَّق إليه الشَّك، ولا يمكن العاقل جحده، وهذه الضّرورة على ثلاثة أقسام: واجب، وجائز، ومستحيل.

فالواجب: لابُدَّ من كونه؛ كافتقارِ الفِعل إلى الفاعل.

والجائز: ما يمكن أن يكون وأن لا يكون؛ كنزول المطر، ونحوه.

---

(١) ما بين حاصرتين من «ذيل تاريخ دمشق»، وهو علي بن يوسف بن تاشفين، وقد توفي سنة (٥٣٧هـ)، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٢٤-١٢٥.

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٥٣ ـ ٤٥٦.

(٣) حديث صحيح، أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب، وهو في «المسند» (٦٠١٥).

(٤) حديث صحيح، أخرجه البخاري (٢٤٤٨)، ومسلم (١٩)، وهو في «المسند» (٢٠٧١).

والمستحيل: ما لا يمكن كونه؛ كالجمع بين الضِّدَّين.

وهذه الضرورة مستقِرّةٌ في نفوس العقلاء بأجمعهم؛ أنَّ الفعل لابُدَّ له من فاعل، وأنَّ الفاعل ليس في وجوده شكٌّ، وهذا معنى قوله ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] وما انتفى عنه الشَّكُّ وَجَبَ كونه معلوماً، فَثَبَتَ بهذا أنَّ الباري يُعْلَمُ بضرورة العقل، وبحدوث نفسه أيضاً، لأنَّه يَعْلَمُ أنَّ له صانعاً صنعه، لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩] وذكر الآياتِ التي فيها خَلْقُ الإنسان، ثم قال: فالسَّموات والأرضُ وجميعُ الموجودات يُعْلَمُ بها وجودُ الباري، وكذا الليل والنهار والحيوانات، وقد نبَّه الله على خَلْقها في آياتٍ كقوله ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[البقرة: ١٦٤] الآية.

ثم قال: وإذا كان خالقَ كلِّ شيء عُلِمَ أنه لا يشبهه شيء لأنَّه ليس من جِنْسها ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

ثم ذكر فصولاً في دَفْعِ التَّشْبيه والتكييف والتعطيل، وأَثْبَتَ التَّوحيد والتَّنزيه، ثم قال: عَرَفه العارفون بأفعاله، ونفوا التكييف عن عِزَّته وجلاله.

ثم قال: وما وَرَدَ من الآيات المتشابهات كآيات النُّزول ونحوها، فيجب الإيمانُ بها مع نفي الكيفية، قال الله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] الآية. فقد أثنى الله عليهم، وقالت عائشة رضي الله عنها: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله، فاحذروهم. وليس الباري متصِلٌ بخَلْقِهِ.

ثم قال: وهو عالم بِعلْمٍ واحد، قادِرٌ بقُدْرةٍ واحدة.

ثم أَثْبَتَ القَدَر، وقال: وجميعُ المخلوقات صادِرَةٌ عن قَضَائه وقَدَره، قَدَّرها في أزليَّته من غير زيادةٍ ولا نُقْصان، لا تبديلَ في المقدور، ولا تحويل في المحتوم، أوجدها بغير واسطة ولا بعِلَّة، وليس له شريكٌ في إيجادها ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. ثم قال: وأسماؤه موقوفة على إذْنه، لا يُسمَّى إلا

بما سَمَّى به نَفْسَه في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ، ولا مجال للقياس فيها ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وذكَرَ ما يتعلق بها من الآيات.

ثم أثبت رؤية الله تعالى في الجَنَّة، وذَكَرَ آياتِ النَّظر والأحاديث، ثم قال: من غير تشبيه ولا تجسيم.

ثم قال: والمعجزات حَقٌّ، وذَكَرَ قَلْبَ العصا حَيَّةً، ونَبْعَ الماءِ من بين أصابع نبينا ﷺ، وذَكَرَ القرآن الذي هو المعجز الأكبر، وذكر كلاماً طويلاً.

ومن شِعْره: [من البسيط]

إنِّي وفي النَّفْسِ أشياءُ مُخَبَّأَةٌ ... لأَلْبِسَنَّ لها دِرْعاً وجِلْبابا
كيما أُطَهِّرَ دِيْنَ الله من دَنَسٍ ... وأُوْجِبَ الفَضْلَ للسَّاداتِ إيجابا

محمد بن علي بن عبد الواحد[1]

أبو رَشِيْد، من أهل آمُل طَبَرِسْتان.

وُلِدَ سنة سبع وثلاثين وأربع مئة، وحَجَّ، وجاور بمكة سنين، وسمع الحديث، [وحدث بشيء يسير][2]، وكان زاهداً عابداً، منقطعاً، مشغولاً بنفسه، ركب البحر، فلمَّا وَصَلَ إلى بعض الجزائر خَرَجَ من السفينة، وودَّع أصحابه، وقال: أُرِيدُ أَنْ أقيمَ هاهنا. فقالوا: هذا مكانٌ منقطع، ولا فيه عمارة، فكيف تصنع؟ فقال: لابُدَّ. فأقلعوا في البحر، فهاجتْ عليهم الرِّيح، فردَّتْهم إلى الجزيرة، [فسألوه أن يجيء معهم، فأبى، فأقلعوا، فردَّتهم الريح إلى الجزيرة][2] ثانياً وثالثاً ورابعاً، فاجتمع إليه التُّجَّار، وقالوا: لا يحلُّ لك أن تسعى في إتلافِ نفوسنا وأموالنا، كلَّما دفعنا رَدَّتنا الرِّيْح إليك، فاصحبْنا إلى دَرْبَنْد، فإذا رجعنا فأَقِمْ هناك. فأجابهم، وأقام معهم بدَرْبَنْد أياماً، ثم

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٤٠، و«الكامل» ١١/ ١٨ ـ وفيه: محمد بن علي بن عبد الوهاب ـ و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ١٥٤ ـ ١٥٥.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

رجع إلى الجزيرة، وأقام بها سنين، وكان فيها عَيْنٌ، فكان يشربُ منها ويتوضأ، ثم رَجَعَ إلى آمُل، فسكنها إلى أن توفي في جُمادى الأُولى، وقبره بآمُل يُتبرَّك به.

وقال بعضُ أصحابه: مضيت إلى تلك الجزيرة، فرأيتُ فيها ثعباناً يبتلع ابنَ آدم، فزرت موضع سجوده، ورجعت.

[**فصل**: وفيها توفيت والدة المسترشد(١)، كانت صالحة متصدِّقة، توفيت ليلة الاثنين تاسع عشرة شوال، وصلى عليها المسترشد ليلاً، وحملت إلى الرُّصافة](٢).

السَّنة التاسعة والعشرون وخمس مئة

فيها قُتِلَ المسترشد، ودُبَيْس، [وشمس الملوك صاحب دمشق](٣)، ومات طُغْريل السُّلْطان.

وفيها أخرجَ الخليفة سُرادِقَه إلى رؤوس الحيطان، لأَنَّه اطَّلع على سوءِ نية مسعود.

ووصل الخبر بوفاة طُغْريل بهَمَذَان، فسار مسعود جريدةً(٤)، ولحقه عسكره، وأعاد الخليفة سُرادقه إلى داره، وأما مسعود فإنَّه وَصَلَ هَمَذَان، واختلف عليه العسكر، فكان ممن انعزل عليه قزل وسُنْقُر والبازدار(٥) وغيرهم، ونزلوا بعيداً من هَمَذَان، فأسرى إليهم، وبَيَّتَهُمْ، فبدَّدَ شَمْلَهم، ونَهَبَ أثقالهم، فورد هؤلاء الثلاثة بغداد، وأخبروا بسوء نيَّته في الخِلافة.

وخَرَجَ أنوشروان لوزارة السُّلْطان مسعود، فَنُهِبَ جميعُ ما كان معه في الطَّريق.

وفي المحرم وَصَلَ زَنْكي بغداد، فالتقاه الوزيرُ وأرباب الدَّوْلة، ودَخَلَ، وقَبَّلَ عَتبة الباب النُّوبي، وقال: أنا وأبي عبيدُ هذه العَتَبة، وما زالت العبيد تجني والموالي تعفو.

---

(١) لها ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٤١ .

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، والرصافة هي رصافة بغداد.

(٣) في (ع) و(ح): بوري، وهو وهم، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) أي لم يكن معه رجَّالة، انظر «اللسان» (جرد).

(٥) في (ع): البادزاني، وفي (ح) البارذان، والمثبت من «المنتظم»: ١٠/ ٤١ ، وسيأتي على الصواب ص٢٦٥ .